مراجعة لكتاب:

إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر*

تحرير: فتحي ملكاوي**، رائد عكاشة***، عبد الرحمن أبو صعيليك****

منجد مصطفى بهجت***

الكتاب الذي بين أيدينا يتحدَّث عن أحد أبرز روّاد الفكر الإسلامي المعاصر، وأهم مُجدِّديه الذين أسهموا إسهاماً فاعلاً في إثراء المكتبة العربية الإسلامية بالعديد من الكتب والدراسات التي تناولت موضوعاتٍ عَزَّ نظيرها، مثل مقارنة الأديان، فضلاً عن تلك التي تنادي بإصلاح الفكر الإسلامي المعاصر.

يقع الكتاب في 800 صفحة، وقد جاء مُوزَّعاً على خمسة أبواب تضمَّنت عشرين فصلاً، وذلك على النحو الآتي:

الباب الأوَّل: جهود الفاروقي في علم مقارنة الأديان.

الباب الثاني: النموذج المعرفي عند الفاروقي.

الباب الثالث: منهج الفاروقي في التعامل مع التراث وممارساته التنظيرية والعملية.

الباب الرابع: عرض نماذج من تراث الفاروقي.

---

* ملكاوي، فتحي حسن. عكاشة، رائد جميل، أبو صعيليك، عبد الرحمن (محررون). **إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر**، هرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي؛ عمّان: دار الفتح للدراسات والنشر، 1435هـ/2014م.

** دكتوراه في التربية وفلسفة العلوم، جامعة ميتشجان الأمريكية، 1984م، المدير الإقليمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، رئيس تحرير مجلة "إسلامية المعرفة".

*** دكتوراه في النقد الأدبي، الجامعة الأردنية، 2002م، المستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، مدير تحرير مجلة "إسلامية المعرفة".

**** دكتوراه في العقيدة والفلسفة الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمّان، 2013م.

***** دكتوراه في الأدب والنقد، جامعة الأزهر، 1982م، أستاذ جامعة الموصل (1990م)، ثمَّ أستاذ الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (1994م–2017م). البريد الإلكتروني: munjid1947@gmail.com

تم تسلم المراجعة بتاريخ 2018/7/2م، وقُبلت للنشر بتاريخ 2018/9/15م.

الباب الخامس: جهود الفاروقي الإصلاحية.

ولا شكَّ في أنَّ الكتاب يُمثِّل حدثاً علمياً شبه متكامل، أرست دعائمه بحوث المؤتمر العلمي التي أُفرِدت لإسماعيل الفاروقي، الذي حظي بأكثر من مؤتمر، ولكنَّ احتشاد المعهد العالمي للفكر الإسلامي له كان أكبر؛ إذ كانت مساعي المعهد تتطلَّع إلى إنصاف هذا العالِم، فضلاً عن إنصاف فكره ونِتاجه، بعد نحو ربع قرن من وفاته (توفي 1986م)، فجاء الكتاب نِتاج جهود مضنية قبل انعقاد المؤتمر، وفي أثناء انعقاده عام 2012م، بالتعاون مع جامعتين عريقتين، هما: جامعة اليرموك في إربد، وجامعة العلوم الإسلامية العالمية في عمّان، وبعده بنحو عامين صدر كتاب المؤتمر (عام 2014م)، وتكشَّف الأمر عن العطاء الخصب في جهود الباحثين التي توصف بالجِدَّة والجِدّية، خلافًا للغالب على بحوث المؤتمرات –وما أكثرها– من السرعة والتعميم. وقد قُدِّر لهذه البحوث عناية إضافية، حين جُمِعت في إضمامةٍ لتكون في كتاب، بعد أنْ عرضت لها أيدي المُحرِّرين الثلاثة.

والغرض من المؤتمر يكاد يبدو واضحاً للقارئ؛ إذ هيَّأ المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرصة الكتابة عن إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري المعاصر، وهو جزء يسير من الوفاء بحقه، وأتاح للباحثين أنْ تأتي رؤاهم وتصوُّراتهم عن جهود الفاروقي في سياق الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر، من خلال نشاطه ونِتاجه الفكري الثرّ.

ففي مُقدِّمة جمال البرزنجي –ضيف شرف المؤتمر– تعريف وافٍ بالشخصية التي يعرض لها الكتاب، وهو تعريف عالي السند؛ لأنَّه يُحدِّثنا –عن كثب– حديثاً لا يتسرَّب إليه الشكُّ (لكونه من أكثر الناس قرباً إليه)، فيُعرِّفنا بصبر الفاروقي ومطاولته ومقدرته على العمل الذي لا يكلُّ ولا يملُّ، وعدم استسلامه مهما شقَّ الطريق. ومن ذلك مشاركته في المؤتمر الأوَّل لأزمة الفكر الإسلامي، الذي نُظِّم في شهر حزيران عام 1977م في مدينة لوغانو بسويسرا، واستمر خمسة أيام بلياليها، وحضره نحو ثلاثين شخصاً من قيادات الأُمَّة الإسلامية الفكرية، وهو المؤتمر الذي اتخذ فيه قرار تأسيس المعهد العالمي

للفكر الإسلامي، وبيَّن خصوصية الفاروقي بالقول: "إنَّ حلم كل ناشط عامل يجب أنْ يكون في رفقة رجلٍ مثله؛ لما له من تفكير مُنظَّم، وتخطيط هادئ، وتنظيم واعٍ، ومحبة عميقة، والود الذي تلمسه في كل خطوة وكل جملة، اتفقنا أم لم نتفق."

لقد أضاء جمال البرزنجي إضاءة متميزة، وأبان أبعاد المشروع الواعد الذي كان يتطلَّع إليه الفاروقي. وقد تضمَّنت مفردات منهج العمل لإنشاء المعهد العالمي للفكر الإسلامي مشروع "ملخصات الفكر الغربي"، الذي يُمثِّل محوراً أساسياً للمُسلِم الناشط أو المُفكِّر في مشروع "إسلامية المعرفة"؛ إذ كان الرأي هو تعرُّفَ حقيقةِ الفكر الغربي وجوهره –ما له، وما عليه– أي إيجابياته وسلبياته. وبناءً على ذلك، حدَّدنا ستة حقول معرفية رئيسة للبدء بها، وهي: الاقتصاد، والاجتماع، والتربية، والسياسة، وعلم النفس، والتاريخ. وهو مشروع ضخم تبنّاه الفاروقي، وكرَّس حياته لتحقيقه؛ إذ كان يصبو من خلاله إيجاد منهجية تتجاوز تبعية العالَم الإسلامي للغرب، وتحل أزمته الفكرية في القرن العشرين.

لقد كانت كتابات الفاروقي الإسلامية الأُولى في كشف مكامن القوَّة في الإسلام، وفي رأيه أنَّ ذلك لن يعود بقراءة الإسلام قراءة تراثية تقليدية؛[1] أي بفهمه فقط كما فهمه السلف، وإنَّما بتقديم قراءة إسلامية جديدة تنتفع من علوم العصر، ولا سيما من العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة؛ إذ تستعمل هذه العلوم بوصفها أدوات معرفية ومناهج علمية في فهم الإسلام. إذن، مشروعه الفكري الإسلامي يجمع بين أصول الإسلام مصدراً وقيماً، وأصول الغرب أدوات منهجية، وأطلق عليه مشروع "إسلامية المعرفة"؛ تمييزاً له من باقي المشاريع أو الدعوات التي اتخذت لنفسها مصادر أو مناهج أُخرى.

الكتاب في إعداده وتنسيقه مثل رفيع، ونموذج متميز في مجاله، يستحق أنْ نهنأ عليه، ونأنس بسياحته الفكرية، ومضامينه المتنوعة التي تعكس أبعاد شخصية الفاروقي. ولا شكَّ في أنَّ الاتجاهات والتيارات التي عرض لها الباحثون كانت متنوعة متعددة، عامة تارة

[1] الفاروقي، إسماعيل. **إسلامية المعرفة: المبادئ العامة– خطة العمل– الإنجازات**، (د.م): دار الهدى، 2001م، ص٥٥.

وخاصة تارة أُخرى، عميقة مُركَّبة، سهلة بسيطة، تُمثِّل شخصية الفاروقي في حياته وسلوكه ومُصنَّفاته.

غير أنَّنا لا نجد في أبواب المؤتمر الخمسة باباً خاصاً بـ"إسلامية المعرفة"، وقد يكون ذلك مَدعاةً للتساؤل: هل تعمَّد المؤتمر تجاوُز هذا الموضوع؟ ولكنَّ النظر الفاحص يُظهِر أنَّ بعض البحوث تناولت الموضوع بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فما كُتِب عن الجانب الفكري الذي تبنّاه الفاروقي في مسيرة حياته يلتقي التقاءً مباشراً بفكرة "إسلامية المعرفة"، التي تُمثِّل قراءة إسلامية جديدة تنتفع من علوم العصر (الإنسانية والاجتماعية الحديثة)، بالجمع بين أصول الإسلام مصدراً وقيماً، وأصول الغرب أدواتٍ منهجية؛ حتى إنَّها اتُّخِذَتْ شعارًا للمعهد العالمي للفكر الإسلامي منذ تأسيسه حتى يومنا هذا، وأصبح الشعار سمة فكرية مضافة تتبنّاه بعض الجامعات الإسلامية العالمية. ونلحظ هذه الرؤية في بحوث كلٍّ من: ليندا بوعافية، وحسان عبد الله حسّان، وعمران سميح نزّال، وفتحي حسن ملكاوي، وعبد العزيز بوالشعير.

وقد اشتمل الباب الأوَّل على أربعة بحوث، تَقدَّمها بحث "جهود إسماعيل الفاروقي في علم تاريخ الأديان" لمحمد خليفة حسن، الذي بدأه بالتأصيل لعلم مقارنة الأديان في مصادره الأوَّلية (القرآن الكريم، وعلم التفسير، وكتب التاريخ العام، وكتب علم الكلام، وكتب الرحّالة المُسلِمين)، وعلم الدعوة الإسلامية، مشيراً إلى أشهر دوائر المعارف الإسلامية في مقارنة الأديان (كتب الشهرستاني، وابن الكلبي، والبيروني). وقد انتهى إلى ما صُنِّف حديثاً في هذا الحقل، لكلٍّ من: محمد عبد الله دراز، وأحمد أمين، ومحمد أبو زهرة، وأحمد شلبي.

وإذا كان دراز قد افتتح باب الإسهام في علم تاريخ الأديان بكتابه المشهور فإنَّ الفاروقي اختتمه بتحديد معالم المنهج في تاريخ الأديان، وربطه بأحدث التطورات العلمية، فـ"أطلس الحضارة الإسلامية" الذي يُمثِّل ذروة التقدُّم في تاريخ الأديان؛ إذ يُعَدُّ الفاروقي بحقٍّ مُؤسِّس هذا العلم عند المُسلِمين في العصر الحديث.

وقد تناول موضوعه في أربعة محاور، هي: جوهر التجربة الدينية مع التطبيق على الإسلام، وتأثُّر الفاروقي بالمنهج في علم تاريخ الأديان الحديث، ووجوه التشابه بين الفاروقي، وفان درليو، وفاخ، وسميث، ونحو نظرية إسلامية في الدِّين الماورائي.

ثمَّ جاء بحث "المحدد الديني للحضارة والسياسات العالمية: الإسلام والمسيحية واليهود ضمن منهج الفاروقي" لعبد القادر عبد العالي، الذي تناول فيه موضوع الحضارة، والسياسات العالمية، وأهمية الدِّين في تشكيل الحضارات، ولا سيما أنَّه يُمثِّل عنصرها الرئيس.

وقد أقام الباحث بحثه على ثلاثة محاور، هي: الدور المتوقع للإسلام في تعديل السياسات العالمية، والنظام الدولي والسلام الإسلامي، وملحوظات نقدية على قراءة الفاروقي لدور الإسلام في العلاقات الدولية.

وأكَّد في المحور الثاني ما قاله الفاروقي من وجوب إعادة النظر في الأسس التي اعتمدها النظام الدولي المعاصر لمعالجة العدوان والظلم، مُحدِّداً الجوانب السلبية لهذا النظام، ومُقدِّماً التصوُّر البديل القائم على السلام العالمي، والانفتاح والتعدُّدية، والكونفدرالية، والفدرالية العالمية التي تسعى للسلام والإنسانية.

ثمَّ ختم بتأكيد فكرة "إسلامية المعرفة"، والمنهجية، والتصوُّر النظري والنقدي، ووجوب تقديم نظرية وتصوُّر معياري ونقدي للعلاقات الدولية، واعتماد مفاهيم الفاروقي أساساً للانطلاق نحو آفاق جديدة تتيح لنا الاستجابة للتغيُّرات الحديثة، التي ربَّما استدعت إعادة النظر في ما قدَّمه الفاروقي.

تلا ذلك بحث "إسماعيل الفاروقي وجون اسبوزيتو: أنموذج للحوار الإسلامي–المسيحي" لناصر عبد الرزاق الملا جاسم، الذي أكَّد فيه تفرُّد الفاروقي في وضع أسس الحوار انطلاقاً من ريادته في فلسفته لدراسة الأديان، وتحدَّث عن الحوار في منهجيته، وشروطه، وموضوعاته. أمّا الشقُّ الثاني من البحث فبُنِي على مقولة صينية قديمة: "إذا

أردت أنْ تعيش أبداً فازرع رجالاً"، وعولِجت فيه قضية "الحوار مع الآخر"، وتأثير هذا التفرُّد في مقاربة الفاروقي على طلبته، وأبرزهم جون اسبوزيتو.

وقد اشتمل هذا الجزء من البحث على ثلاث محطّات، هي: عرض موجز لسيرة الفاروقي، والفاروقي وحوار الأديان (تناول فيها موضوعات الحوار، وجعلها ثلاثةً تقوم على أسس وضوابط مهمة)، وجون اسبوزيتو وتراث الفاروقي. وتحدَّث الباحث في المحطة الأخيرة عن التطوُّر المُبكِّر لاسبوزيتو (تلميذ الفاروقي)، والمستوى العلمي الذي وصل إليه، والذي ظهر في ثلاثة مستويات، هي: أنموذج الأكاديمي والعالِم المُسلِم المُتفرِّد الذي ألهم اسبوزيتو؛ وطبيعة الجوِّ العلمي الذي شكَّله الفاروقي في جامعة تمبل؛ والتعاطف مع موضوع الدراسة، وضرورة فهم التجربة الدينية والتاريخية الإسلامية من الداخل.

بعد ذلك، جاء بحث "إسماعيل راجي الفاروقي ومنهجه في نقد الأديان: اليهودية أنموذجاً" لليندا بوعافية، الذي تحدَّثت فيه عن اليهودية بدلاً من النصرانية، واعترفت أنَّها أمام رجل العالَميْنِ (الشرقي، والغربي)، الذي لم يحظَ -للأسف- باهتمام اللاحقينَ، وقد حدَّدت إشكالية البحث في خمسة أسئلة تتعلَّق بمنهج الفاروقي في نقده الأديان الأُخرى.

ويقوم البحث على ثلاثة محاور، هي: إسماعيل راجي الفاروقي: قراءة في جهوده في دراسة اليهودية، وما وراء الدين (منهج الفاروقي في نقد الأديان)؛ فقد ذكرت الباحثة مزايا منهجه المُتمثِّلة في أنَّه مُجرَّد نقد علمي، واتصافه بالعقلانية أو الجمع بين العقل والروحانية، ثمَّ توقَّفت عند الأصول الفكرية لما وراء الدِّين وأهدافه، وحدَّدت لها ثمانية مبادئ، وتحدَّثت عن أهداف المنهج، والتواصل والحوار بين الأديان والحضارات، وتناولت المنهج في صورتين كان قد أوردهما في "إسلامية المعرفة". أمّا المحور الثالث فكان "تحليل تطبيقات منهج الفاروقي في نقد اليهودية"، الذي وقفت فيه الباحثة عند منهجه في نقد الكتب اليهودية، وعقائدها، والملل اليهودية المعاصرة.

واشتمل الباب الثاني على ثلاثة بحوث؛ أوَّلها: بحث "منهجية الفاروقي في قراءة النموذج المعرفي الغربي" لحسّان عبد الله حسّان، الذي اختصَّه بالوقوف عند منهجية الفاروقي، مُحدِّداً ذلك في البحث، ثمَّ الإشارة إلى حال المُسلِمين -بعد التراجع الذي

أصابهم- وموقفهم من الغرب، الذي تمثَّل في حركتين، لكلٍّ منهما مساران؛ الأُولى: حركة الخائف المُتوجِّس في اتجاه التعبئة والتحذير، ضمن مسار تبنّي دعوة المقاومة، ومسار استعادة الهوية في مقابل الآخر. والثانية: التسليم بتفوُّق الحضارة الغربية، ضمن مسار التوفيق بين عناصر الذات والفكر الغربي، ومسار النقل والاقتباس لاستعادة الدَّور.

بعد ذلك، تطرَّق إلى أعلام المُفكِّرين في العالَم الإسلامي، وأشار إلى ستة كتب مهمة في هذا الاتجاه، ثمَّ عاد ليصوغ الأسئلة المهمة الآتية:

- ما الإطار المرجعي الذي استند إليه الفاروقي؟
- ما دوافع الفاروقي الحضارية في قراءة النموذج المعرفي الغربي؟
- كيف قرأ الفاروقي النموذج؟
- ما أدواته المنهجية في القراءة؟

وقد تحدَّث عن أبعاد التوحيد عند الفاروقي، ثمَّ عرض لمنهجيته في قراءة النموذج الغربي، مُحدِّداً عناصرها، وتجلّياتها، ثمَّ ختم البحث بالتوصيات والدروس المستفادة.

وثانيها: بحث "وحدة الحقيقة والقيمة في برنامج إسماعيل الفاروقي التشريعي" لعبد الرزاق بلعقروز، الذي تناول فيه مسألة "الحقيقة"، وآلية الدمج بينها وبين القيمة، والحضور العيني لهذه الثنائية في حركة الحياة ودوائر الثقافة، ومآزق فلسفات المنظورية المعرفية والقيمية التي تنخر الوعي الإنساني المعاصر، أو النزعات الشكوكية. أمّا الهدف الذي يرومه الباحث فهو تدارُك الفراغ الذي أورثته التنظيرات المعرفية للرؤية الكونية التوحيدية. وقد اعتمد في بحثه المنهجين: التحليلي والاستقرائي، وأشار إلى الدراسات السابقة التي اعتمدها: أطروحة الدكتوراه لعبد العزيز بوالشعير (2009م)، ومقالة عمار طسطاس في مجلة "الدراسات العقدية ومقارنة الأديان" (2005م)، والتعقيبات التي تلت محاضرة الفاروقي في الندوة الرابعة العالمية للشباب الإسلامي.

ويقوم البحث على أربعة محاور، هي: مشهد الحقيقة والقيمة في الفكر الغربي المعاصر: نقد إرادة الحقيقة، ونقد الفاروقي للنزعات الشكوكية في الفكر الغربي المعاصر، ونظرية الفاروقي في وحدة الحقيقة– القيمة– الحياة، ومناحي مجاوزة الفاروقي للفكر الغربي في نظريات: الحقيقة– القيمة– الحياة.

وثالثها: بحث "مسألة المنهجية في تجديد الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة مقارنة بين الفاروقي والمسيري" لرحماني ميلود، الذي حاول إثبات أوجه التشابه والاختلاف بين مُفكِّرينِ، كليهما من بلد عربي، وذي تحصيل علمي عالٍ، واهتمام بفلسطين، ومُشتغِل بالفلسفة الغربية. وقد اشتمل البحث على ثلاثة محاور، هي: مُقدِّمات منهجية؛ مفهوم الرؤية الكلية والنسق، والرؤية الكلية للفاروقي والمسيري ونسقهما الفكري، ومنهجية التعامُل مع الآخر؛ إذ وقف الباحث عند المصطلحات الأساسية التي وردت عند الفاروقي والمسيري، ثمَّ تحدَّث عن السمات المرجعية الثلاث: الثبات، والإطلاق، والتجاوُز، واضعاً معايير لمنهجية التعامُل مع الآخر، والمصطلحات التي اعتمدها المسيري، ومُبيّناً الفروق الجوهرية في المنهجية لكلٍّ منهما. وقد انتهى إلى صياغة الفكر مع مصادر الفكر الإسلامي بجرأة كبيرة، والتعامُل مع الآخر حضارةً وفكراً، وتأكيد وجود إيجابيات وسلبيات للاختلاف، والتعامُل مع الواقع في جميع المستويات؛ لصياغة أنظمة معرفية تُواكِب تطوره، ولا تخرج عن الرؤية المرجعية الحاكمة.

أمّا الباب الثالث فاشتمل على أربعة بحوث، جاء في مُقدِّمتها بحث "التطور الفكري العقدي الإسلامي المعاصر: إسماعيل الفاروقي نموذجاً" لعيسى ربيح جوابرة، الذي تناول فيه فكرة التطور العقدي الإسلامي المعاصر، وجعل الفاروقي مثالاً (نموذجاً) لهذا التطور، واعتمد في سياق موضوعه على خمسة محاور، هي: ربط الفكر العقدي بمضامين الحياة هو أمر جوهري لا عرضي، والتجديد في الدرس العقدي، وإبراز المقاصد العقدية السامية للأفكار العقدية، وتوظيف الآراء العقدية المختلفة، والتوحيد وأسلمة المعرفة.

وفي المحور الثالث، توقَّف الباحث عند مقصدينِ مهمينِ، هما: تحقيق القيم العقدية في مضامين الفكر والحياة، والإرادة الإنسانية مُمثِّلة للإرادة الإلهية. وقد انتهى إلى أنَّ الفاروقي وثَّق العلاقة بين التوحيد وسائر مضامين الحياة، وأنَّ العقبة الكبيرة التي تقف أمام الإصلاح تتمثَّل في تقليد المُسلِمين للنموذج الغربي، وأنَّ الإصلاح لا يتم إلا بإحياء نموذج الحياة الإنساني الرباني المثالي المرتبط بالتوحيد.

ثمَّ جاء بحث "فلسفة إسماعيل الفاروقي في التعامُل مع التراث الإسلامي" لعمران سميح نزّال، الذي تناول فيه مسألة "التعامُل مع التراث" من خلال ما حرَّره الفاروقي، مُركِّزاً على صورة الفاروقي في محاور بحثه الستة: مفهوم التراث في فكر الفاروقي، مفهوم التراث في كتاب "أسلمة المعرفة"، كيفية التعامُل مع التراث في كتاب "أطلس الحضارة الإسلامية"، كيفية التعامُل مع التراث في مشاريع الإصلاح الفكري الغربية، كيفية التعامُل مع التراث في مشاريع الإصلاح الفكري اليهودي، منهجية الفاروقي العلمية.

تلاه بحث "نظرية الفن الإسلامي عند المُفكِّر إسماعيل الفاروقي" لإدهام محمد حنش، الذي تناول فيه معنى النظرية بوصفها رؤية مُنظَّمة منهجياً بمجموعة من المفاهيم والعلاقات والتحوُّلات التي تعمل على تفسير ظاهرة مُعيَّنة لتكوين معرفة موضوعاتية عن طبيعتها البنيوية والصفاتية والوظيفية. وقد اعتمد الباحث في توثيق هذا المفهوم على كتاب المُؤرِّخ م. س. ديماند، ورأى أنَّه يُمثِّل البيان الأوَّل لنظرية "الفن الإسلامي" التزيينية التي جاءت في اتجاهين، يقوم أوَّلهما على مبادئ علم الآثار، وينطلق ثانيهما من دراسة الأسس الفلسفية والجمالية.

ثمَّ استكمل الباحث تصوُّره عن نظرية "الفن الإسلامي" بالوقوف عند عشرة محاور، هي: نظرية الفن الإسلامي: المفهوم والإشكالية، وتأصيل نظرية الفن الإسلامي: الرؤية والمنهج، ونظرية الفن الإسلامي عند الفاروقي: تأطير الموضوع، ونقد الفاروقي لعلم الجمال الاستشراقي، وإيتنجهاوزن ونظرية الفن الإسلامي، ومشروع الفاروقي المعرفي لنظرية الفن الإسلامي، والقرآن الكريم مأثرة الفن الإسلامي، وفي مفهوم الفن الإسلامي

ونظريته المعرفية، وفي طبيعة الفن الإسلامي ونسقه المعرفي، وفي أسس الفن الإسلامي وخصائصه. وقد أكَّد الباحث مقولة الفاروقي التي مفادها أنَّ القرآن هو: "أوَّل وأعلى مثال للإبداع الفني."

وخُتِم هذا الباب ببحث "الفكر المقاصدي عند الفاروقي" لأشرف محمود عقلة بني كنانة. وفيه عمل الباحث على استقراء كتب الفاروقي، مُرَكِّزًا على كتابي: "التوحيد" و"أسلمة المعرفة"، وانتهى إلى استنباط اثني عشر مقصدًا منها. وقد اشتمل البحث على محورينِ؛ أوَّلهما: أهمية المقاصد لفهم الواقع وعلاج المستجدات ورؤية الفاروقي لها، وثانيهما: أثر المقاصد في فكر الفاروقي، وهو المحور الذي توسَّع الباحث في سرد تفاصيله.

ولمّا كانت العناوين المقاصدية كثيرة، فقد أورد الباحث أهمها وأكثرها فاعلية؛ وهي: قصد الخالق من الخلق أنْ يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وقصد الشارع من التشريع إسعاد الأفراد والجماعات في الدارينِ، وقصد تقيُّد الأُمَّة بفهم الأوَّلينَ من السلف، وتعزيز مبدأ المحاسبة بكل أنواعها، وإفهام المُكلَّفين تكاليف الشارع، واستقلالية الشخصية المُسلِمة لتمكين الأُمَّة، والمزاوجة بين التفقه بالدِّين والواقع، وترك التقليد فلا قدسية إلا لنصوص الوحي، والوسطية والاعتدال مع الحوار؛ الوصول إلى التغيير، وإيجاد المُجدِّدين في كل عصر، ونشر عالمية الإسلام لإخراج الناس من العبودية إلا لله تعالى، وإقامة مبدأ التصفية والتربية لتغيير المجتمع وبنائه من جديد.

وأمّا بحوث الباب الرابع فهي: "إثبات الخير: الجوانب الميتافيزيقية والإبستمولوجية للقيم: قراءة في أطروحة الدكتور إسماعيل الفاروقي" لجاسر عودة، و"النواة التوحيدية للنظام المعرفي الإسلامي لدى الفاروقي" للسيد عمر، و"جوهر الحضارة الإسلامية وتجلّياتها: قراءة في كتاب أطلس الحضارة الإسلامية" لفتحي حسن ملكاوي، و"كتاب الأخلاق المسيحية: نحو علم مسيحيات إسلامي" لعامر عدنان الحافي، و"التنزيه في فكر

الفاروقي: قراءة في كتاب التوحيد" لعبد الرحمن أبو صعيليك، وهو الكتاب نفسه الذي تناوله السيد عمر في الفصل الثاني من هذا الباب.

وهذه البحوث الخمسة كُتبِت مُفرَدةً في التعريف بنِتاج الفاروقي، بل في أربعة كتب له مُمثَّلةً في أطروحته للدكتوراه، وكتابه "التوحيد" بنسخته الإنجليزية، وكتابه "أطلس الحضارة الإسلامية"، وكتابه "الأخلاق المسيحية". أمّا الفصل الخامس فكُتِب في موضوع الفصل الثاني نفسه الذي هو كتاب "التوحيد". وقد تضمَّن هذا الباب تحليلات مُعمَّقة قيِّمة للكتب الأربعة الآنف ذكرها.

واشتمل الباب الخامس على أربعة بحوث، تصدَّرها بحث "مسؤولية الجامعة والجامعيين في إصلاح التعليم (العلل والحلول) في مقاربات إسماعيل راجي الفاروقي" لعبد العزيز بوالشعير، الذي عرض فيه لمسؤولية الجامعة والجامعيين في إصلاح التعليم ضمن ستة محاور، هي: الإطار النظري لعملية إصلاح التعليم الجامعي، وواقع التعليم الجامعي في العالَم الإسلامي، وموقع الجامعة والجامعيين في إصلاح التعليم الجامعي، ومسؤولية الجامعة والجامعيين في عملية إصلاح التعليم والنهوض به، والآليات المعتمدة لإصلاح التعليم الجامعي، وتمثُّل الفاروقي للحلول التي اقترحها لإصلاح التعليم من خلال مؤسسات المعهد العالمي للفكر الإسلامي. وفيها أجاب الفاروقي عن أسئلة عدَّة، أهمها: أين الخلل؟ ومن أين نبدأ؟ وإلى أين نريد أنْ نصل في عملية إصلاح التعليم؟ وما الآليات التي تُمكِّننا من تحقيق هدفنا؟ وعلى مَن تقع مسؤولية الإصلاح في العالَم الإسلامي؟

لقد كان الفاروقي جريئاً في طرح مسألة "الإصلاح والتغيير"، وما دعوته إلى إصلاح التعليم إلا محاولة لاستعادة منهجية التفكير الإسلامي السليم، وتجاوُز وهْم تعارُض الثنائيات في التاريخ الإسلامي التي أفضت إلى الأزمة الحضارية؛ أي تعارُض الوحي مع العقل، وتعارُض الفكر مع العمل، والازدواجية الثقافية والدينية، والفصام بين المثال والواقع.

ثمَّ جاء بحث "النموذج المعرفي لنقد الأديان عند الفاروقي" لبلال التليدي، الذي جعله في ستة محاور، هي:

تحرير المصطلحات والمفاهيم، والمقولات التأسيسية للنموذج المعرفي لنقد الأديان عند الفاروقي (جعلها أربع مقولات)، والنموذج المعرفي لنقد الأديان عند الفاروقي: من التوقُّف إلى الفهم (ساق فيه أربعة أطر منهجية تتمثَّل في: الانسجام مع الرؤية المنهجية الكلية في دراسة الأديان، والانسجام مع المقولات التأسيسية، والضرورة التي يفرضها النموذج المعرفي، وإنَّ هذه المبادئ جاءت لتتجاوز التحديات المعرفية التي فرضها منهج التوقُّف). والمبادئ النظرية للفهم الديني في النموذج المعرفي عند الفاروقي (اعتمد فيه خمسة مبادئ، هي: الانسجام الداخلي، والانسجام مع المعرفة الإنسانية المتراكمة، ومبدأ اتساق الحقيقة الدينية مع الخبرة الدينية الإنسانية، والانسجام والمناسبة للواقع، ومبدأ الهدف الحق أو خدمة الدِّين للأخلاق والخير والقيم العليا). والنموذج المعرفي لنقد الأديان عند الفاروقي: من الفهم إلى التقويم والنقد (حدَّد الفاروقي القيم التي هي أشبه بالمبادئ، وجعلها ستةً)، وفي العلاقة بين النموذج المعرفي لنقد الأديان والنمط المثالي لدراستها عند الدكتور إسماعيل الفاروقي.

تلاه بحث "أساس تجديد النظر في الإسلام: مُسوِّغاته وأبعاده وتجلِّياته في فكر الفاروقي" لعمّار جيدل، الذي جعله في خمسة محاور، هي: مُسوِّغات تجديد النظر إلى الإسلام، وأسس تجديد النظر في الإسلام، والأبعاد العملية للنظر الجديد أو المُتجدِّد في الإسلام، وتجلِّيات النظر الجديد أو المُتجدِّد في الإسلام، والأبعاد الفكرية للنظر الجديد أو المُتجدِّد في الإسلام الذي يقوم على التوحيد بوصفه رؤية للعالَم، ويستند إلى الثنائية، والإدراكية، والغائية، وقدرة الإنسان وطواعية الطبيعة. وفيه يشير الفاروقي إلى أنَّ الحضارة ترتبط بالتوحيد الذي يقوم على ثلاثة أسس، هي: الوحدة، والعقلانية، والتسامح؛ ذلك أنَّ التوحيد هو أوَّل مبدأ في فلسفة الأخلاق، وفي علم القيم، وأوَّل مبدأ في وحدة الأُمَّة.

وجاء بحث "التوحيد رؤية للكون وإبستمولوجيا بناء الوعي المتجاوز عند إسماعيل راجي الفاروقي" للحاج دواق، ليُقدِّم مظاهر حضور الهيمنة الغربية في الواقع العربي الإسلامي بصور مُتعدِّدة، ويُبيِّن كيف تأثَّر المُسلِم بالفلسفات الغربية: العقلانية، والتجريبية، والمثالية، والمادية، والليبرالية، والماركسية، والوجودية، وما بعد الحداثة؛ ما جعلنا نبحث عن الفكر الموحد الشامل، المستقل حضارياً، النابع من المرجعية، المُنفتِح على التجربة الإنسانية، فكان مشروع الفاروقي الذي اتَّسم بالرؤية الفكرية الشاملة المحيطة، وبأدواته الكافية لتحقيق المطلوب.

وفي موضوعية مُتميِّزة، يُقدِّم الباحث صورتين متناقضتين –لكنَّهما متكاملتان– تُمثِّلان السلبيات والإيجابيات، ثمَّ يتوقَّف عند مستويين مهمين؛ الأوَّل: مفهوم التوحيد، وفيه يخلُص إلى أسلوبين؛ أحدهما إيجابي، والآخر سلبي. والمستوى الثاني: الخصائص الإبستمولوجية للمنظور التوحيدي ومترتباتها القيمية.

ويُؤكِّد دواق العمق الإبستمولوجي لنظريات الفاروقي وأطروحاته، وكفاءتها في سبر غور الفكر الإنساني، والغربي منه على وجه الخصوص، كاشفةً تناقضاته وثغراته؛ ليُنجِز خلافة شاملة، وعمارة متوازنة، وخيرية لافتة، وشهادة مدخرة.

ختاماً، فإنَّ النِّتاج الضخم الذي وُفِّق إليه الفاروقي يُحتِّم على الباحثين في هذا العصر –ولا سيما طلبة الدراسات العليا– أنْ يفيدوا منه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً؛ لأنَّه أرسى قواعد أساسية في أصول الدِّين ومقارنة الأديان. غير أنَّني لم ألمس نَهْل الباحثين من نِتاج الفاروقي إلا في حالات معدودة، مع اعترافي بمتابعتي غير الدقيقة، ومن ذلك: كتاب "اليهودية: عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية"، وكتاب "النصرانية: نشأتها التاريخية وأصول عقائدها" لعرفان عبد الحميد فتّاح، على فضل الباحث ومكانة كتابيه. أمّا الرسائل التي استقت من مَعِين الفاروقي فهي الأقل، ومنها:

– رسالة الدكتوراه: "الحوار الديني: قضاياه وأساليبه" (2015م)، لخير الدين داتو سليمان، الذي استعان بكتاب واحد للفاروقي بالإنجليزية.

– رسالة الدكتوراه: "منهج أبي الحسن العامري في مقارنة الأديان" (2018م)، لهناء إبراهيم أمين حتقه، التي عادت –في أربع صفحات، وخمسة مواضع من رسالتها–[2] إلى كتاب "أسلمة المعرفة"، وبحثين للفاروقي بالإنجليزية. علماً أنَّ مجموع رسائل الدكتوراه في قسم "أصول الدِّين ومقارنة الأديان" بلغ (23) رسالة، وأنَّ عدد الرسائل التي بحث أصحابها في كتب الفاروقي لم يتجاوز (4) رسائل فقط.[3]

وقد لاحظت أنَّ ما كُتِب في هذا القسم كان (57) رسالة ماجستير، وأنَّ قلَّة قليلة منها استعانت بكتب الفاروقي وبحوثه ودراساته. فبَعد النظر في عدد منها، تَبيَّن أنَّ زينة بنت محمد باخة قد اكتفت في رسالتها "معالم منهج دراسة المسيحية بين ابن حزم وإسماعيل الفاروقي" (1999م)، بالرجوع إلى مقالتين للفاروقي في مجلة "المُسلِم المعاصر" (1977م)، (1984م)، وإلى أربعة كتب له بالإنجليزية، بالرغم من أنَّ نِتاجه بلغ (139) كتاباً ومقالةً. بل إنِّي وجدت رسائل أغفل أصحابها الرجوع إلى ما كتبه الفاروقي بالرغم من وقوعه في صُلْب موضوعاتها.[4]

---

[2] انظر الصفحات: 105، 153، 159، 160.

[3] هذه الرسائل هي:

– صماري، نونة. **منهج الاتصال بالآخر في القرآن الكريم من منظور عقدي**، 2012م.

– السعيد، حسين محمد حسين. **مناهج التبشير بالمسيحية والدعوة إلى الإسلام وأساليبهما**، 2017م.

– سعيد، زانا محمد أمين. **تسامح الإسلام مع النصارى في القدس**، 2017م.

– سمير، سامي. **نقد النصارى المهتدين إلى الإسلام: دراسة مقارنة**، 2017م.

[4] من ذلك:

– إلياس، مجدان. **الفرق المسيحية في كتابات المؤرخين وكتّاب الفرق والمقالات الإسلاميين: دراسة مقارنة ونقدية**، 1998م.

– ابن موسى، رزالي. **الفرق اليهودية عند كتاب المقالات المشركين والإسلاميين**، 1998م.

– التايدي، رضوان. **الانعزالية والدعوى الخصوصية في الديانة اليهودية**، 2007م.

– زَكريا، عثمان سليمان. **رؤية معاصرة لشبهات النصارى**، 2008م.

– سليمان، خير الدين داتو. **الحوار الإسلامي المسيحي في الفلبين**، 2008م.

– توري، سيكو مار. **النصرانية في الخطاب القرآني**، 2010م.